« نظرة عامة فى تطوير التعليم فى مصر »

د٠ عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب (*)

شهدت مصر خلال الشهور القليلة الماضية لقاءات مكثفة جمعت بين القيادة التربوية السياسية ممثلة فى شخص وزير التربية والتعليم ، والعديد من رجال التربية ومفكريها فى مصر وخاصة عمداء كليات التربية وأساتذتها ودارت تلك اللقاءات حول محور واحد هو اصلاح التعليم وتطويره ٠ ولعل من أهم تلك اللقاءات مادار فى مؤتمر تطوير مناهج التعليم الابتدائى الذى دعت له الوزارة بالاشتراك مع الجمعية المصرية للتنمية والطفولة الفترة من ١٨ الى ٢٠ فبراير ١٩٩٣ (١) وماتبع هذا المؤتمر من مناقشات حول توصيات المؤتمر مع السيد الوزير الدكتور / حسين كامل بهاء الدين وعمداء كليات التربية وأساتذتها بقاعة طه حسين بالوزارة يومى ٢٧ ابريل ١٩٩٣ ، ٨ مايو ١٩٩٣ ٠

وللحق والتاريخ فقد أبدى الوزير وخاصة فى اجتماعه الأخير يوم السبت ٨ مايو ١٩٩٣ تفهمه لاشكالية اصلاح التعليم وتطويره والتى تنبع أساسا من صعوبة اتخاذ قرارات الاصلاح والتطوير بالسرعة التى يريدها صاحب القرار ، والتأنى الذى يريده أساتذة التربية الذين يؤمنون بأن قرارات التعليم بالذات قرارات صعبة لابد أن تخضع لمزيد من الدراسات والبحوث والاستقصاءات والتى تتداخل فيها عوامل السياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون ٠ بحيث لايتم قرار فى مجال التربية الا بعد أن يأخذ حقه من الدراسة والبحث (٢) ٠

وللحق والتاريخ أيضا فقد أبدى الوزير رغبته فى ألا تأتى قراراته الا بعد استشارة أهل العلم والاختصاص ٠ مما يضع المسئولية فى أعناق هؤلاء جميعا بأن يحملوا هموم الاصلاح والتطوير ، وأن يمارسوا دراسة الواقع التربوى فى مصر ، وأن يقدموا آراءهم فى وضوح وحسم خصوصا وقد طلب سيادة

(*) أستاذ ورئيس مجلس قسم أصول التربية بكلية التربية ـ جامعة المنصورة٠

الوزير من حضور لقاء ٨ مايو ١٩٩٣ بقاعدة طه حسين بالوزارة من عمداء كليات تربية وأساتذة ورؤساء أقسام أن يكونوا نواة لجنة تحضيرية لعقد مؤتمر يتناول قضية اعداد المعلم فى مصر ومايثور حول هذا الاعداد من قضايا عديدة · ومرة أخرى تقع المسئولية على كاهل تلك النخبة من أهل العلم والاختصاص ليقولوا كلمتهم من أجل ابراء الذمة والوفاء بأمانة العلم الذى حملوا اياه · والواقع أن عمداء كليات التربية وأساتذتها مدعوون فى تلك اللحظة التاريخية بالذات أن يرتقوا الى مستوى المسئولية العلمية والوطنية وأن يشاركوا بالحوار والرأى والبحث فى تلك القضية الهامة : قضية اصلاح التعليم المصرى وتطويره ·

وللحق والتاريخ أيضا فان هؤلاء الأساتذة الأجلاء لم يقصروا فى واجبهم العلمى والوطنى بجهودهم فى المجالس القومية المتخصصة ، والرسائل العلمية التى أشرفوا عليها ، والمؤتمرات التربوية التى عقدت فى مصر خلال السنوات العشر الماضية والانتاج العلمى لهؤلاء الأساتذة الأجلاء كل هذا يشهد بقدرتهم على العطاء ورغبتهم فى ذلك (٣) · ولكن المطلوب منهم فى تلك اللحظة بالذات أن يحولوا هذا الجهد العلمى الى خطوط عامة للعمل يتفقون عليها ، وتكون لهم كلمة واحدة ، ورأى واحد هو الحد الأدنى الذى يتفقون عليه ، ولايرضون بأقل منه للتعليم المصرى والمواطن المصرى ·

ولعل احدى كليات التربية ، أو رابطة التربية الحديثة ، أو احد نوادى أعضاء هيئة التدريس أن يتبنى عقد هذا «المؤتمر التربوى» الذى يضع الخطوط العامة للتعليم المصرى كما يراها ويتفق عليها أهل العلم والدراية التربوية فى مصر وبالذات عمداء كليات التربية وأساتذتها ورؤساء أقسامها · ولما كان مثل هذا العمل ليس بالعمل السهل ، ولايمكن أن يقوم به الفرد الواحد مهما كان هذا الفرد · ولما كان المطلوب ليس الرأى الفردى أو رأى بعض الأفراد المخلصين بل معظمهم أو غالبيتهم على الأقل كانت أهمية عقد مثل هذا المؤتمر التربوى ، ولعل هذه الورقة أن تمثل اطارا عاما لما يمكن أن يتناوله هذا المؤتمر من قضايا تاركين لغيرنا أن يتناول هذا الاطار بالاضافة أو الحذف بالموافقة أو الرفض على أن نصل فى النهاية الى كلمة سواء فيما بيننا تمثل الحد الأدنى من نقط الالتقاء التى نتبناها جميعا فى عملنا ·

أولا : لقد وصل التعليم المصرى بجميع مراحله الى صورة يرثى لها بحيث أصبح هما مصريا قوميا يهدد حياة كل مواطن · لقد أصبح كل مواطن يشعر بعجز المدرسة والجامعة عن تعليم ابنه أو ابنته أو حسن رعايتهما وتوفير المناخ التربوى الملائم لايجاد الأجيال المؤمنة بربها ، ووطنها ، والقادرة على مواجهة تحديات العصر وبحيث أصبح مستقبل الوطن والمواطن مهددا فى صميم وجوده اذا استمر التعليم على هذا المستوى معلما ومحتوى ومبنى ومناخا تعليميا · ومن ثم فان اصلاح التعليم المصرى وتطويره قد أضحى أمرا ضروريا لايمكن تأخيره أو تأجيله ·

ثانيا : أن منظومة التعليم منظومة متكاملة بحيث أن الاصلاح التربوى لايؤتى ثماره اذا كان اصلاحا جزئيا يتناول مرحلة تعليمية من المراحل دون الأخرى ، (رياض أطفال ، تعليم اساسى ، تعليم ثانوى ، تعليم عالى وجامعى) أو يقتصر على جزء من تلك المنظومة : اعداد معلم ، مناهج ، تقويم وامتحانات كتاب مدرسى ، مبانى مدرسية ، تمويل تعليم دون باقى أجزاء المنظومة · ان الاصلاح الجزئى سواء على مستوى المرحلة التعليمية ، أو على مستوى أحد جوانب العملية التربوية دون الأخرى انما هى محاولات ترقيعية لامردود حقيقى لها · انما بالفعل مثل مسكنات الألم لا أكثر ولا أقل · ومن هنا فان الاصلاح المرجو لابد أن يتناول جميع مراحل التعليم ، وجميع أجزائه · والمطلوب ألا نتناول اصلاح مرحلة على حده أو جزء من أجزاء العملية التربوية على حدة الا فى اطار عام لاصلاح التعليم عامة فى مصر ·

ثالثا : ان منظومة التعليم انما هى جزء من منظومة مجتمعية كبرى تشمل المجتمع كله سياسة واقتصادا واجتماعا ولايمكن عزل الاصلاح التعليمى عن التوجه السياسى للدولة ، والواقع الاقتصادى للمجتمع وماوصل اليه البناء الاجتماعى من قوة أو هزال · ومن ثم تأتى خطورة نقل الاصلاح التعليمى من تجارب مجتمعات أخرى تختلف عنا سياسة واقتصادا ومستوى حضارى· ولعله من المفيد هنا أن نستفيد أيضا بجوار استفادتنا من تجارب الآخرين بتجارب المسلمين فى حقل التعليم فى عصور الازدهار الاسلامى وخاصة فى مجال التمويل (الأوقاف الاسلامية) وحرية الطالب والاستاذ ، وتعريب التعليم والدستور الأخلاقى للعالم والمتعلم (٤) ·· الخ ·

رابعا : ستظل مشكلة الأمية فى مصر عارا قوميـــا يهددنا سياســـيا واقتصاديا واجتماعيا ويؤثر تأثيرا سلبيا على محاولات الاصلاح التعليمى فى مصر · أن نسبة ٤٩٪ من شعب مصر مازال أميا ، وترتفع النسبة بيـن الاناث لتصل الى ٦٣٪ هن أمهات هذا الجيل الذى نربيه · ولا أدرى كيـف نقف عند هذه النسبة ولدينا فائض من خريجى المدارس والجامعات لايجدون أى عمل لسنوات طويلة ؟ بل كيف نقف عند هذه النسبة ولدينا عدد هائل من المدارس والجامعات والمساجد ودور العبادة والكل يمكن أن يسهم فى خطة قومية صادقة لمحو هذا العار عن وجه مصر المشرق (٥) ·

خامسا : ان ميزانية التعليم بوضعها الحالى لايمكن أن تحقق أىاصلاح حقيقى ، ويكفى أن نذكر أن ميزانية التعليم فى مصر لايدانيها فى التدنى أى ميزانية حتى فى الدول العربية المحيطة فهى تمثل ٢ر٥٪ من اجمالى الناتج القومى بينما هى فى الأردن ١ر٧٪ والمغرب ٩ر٧٪ والجزائر ٨ر١٠٪ ولانذكر هنا الدولالمتقدمة فكيف يمكناصلاح التعليم بتلكالميزانية الهزيلة ، وعلىسبيل المثال لا الحصر فان الطالب المصرى فى التعليم الأساسى يصرف عليه مايوازى ٨٨ دولارا ، بينما يصرف عليه ٨٨٠ دولار فى اسرائيل وعدة آلاف مـــن الدولارات فى كثير من دول العالم · ولاشك عندنا أن تلك الميزانية الهزيلة المخصصة للتعليم فى مصر هى المسئولة الأولى عن قلة راتب المعلـم ، وأن تصبح مدارسنا المصرية غير صالحة بكل المقاييس للحفاظ على الحد الأدنى لكرامة الانسان ، وأن تعليمنا الأساسى لم يستوعب حتى الآن الا ٧٠ ـ ٨٠٪ من الأطفال (٦) · ولقد آن الأوان أن يدرك المسئولون فى مصر أن ميزانيـــة التعليم ينبغى الا تقل بحال من الأحوال عن ميزانية القوات المسلحة ان لم تزد عليها · والا فان كل حديث عن الاصلاح والتطوير انما هو مجرد كلمـــات بلا معنى ·

سادسا : ان معلم العصر لاينبغى أن يقل اعداده عن المستوى الجامعى حتى ولو كان رياض أطفال ، كذلك فلابد منحسن اعداده لمهامه التربوية المختلفة وأن تكون هناك سنة امتياز للتأكد من صلاحيته للوظيفة ، والا تتم الترقيات الوظيفية الا من خلال الدورات المختلفة ، وأن يعاد تدريبه كل خمس سنوات على الأكثر · مع اعطائه كل فرص النمو المهنى والوظيفى · ورفع مستواه المادى والاجتماعى · لأن كل اصلاح بدون اعداد للمعلم الجيد هو حرث فى البحر ·

سابعا : أن تطوير المناهج قضية فنية بالدرجة الأولى ، ومن حق كل مواطن رأى أن يقول رأيه فى تطوير المناهج · ولكن أهل الخبرة والاختصاص هم وحدهم الذين توكل اليهم عملية وضع المناهج وتطويرها وهما هنا أساتذة التربية ومستشارو المواد المختلفة بالوزارة والمراكز التابعة لها · كذلك فاننا نؤكد هنا أن مصر لديها من الكفاءات والخبرات ماتستطيع به أن تطور تلك المناهج ، ويقتصر دور الخبراء الأجانب على الاستشارة أحيانا ، والاستفادة بتجارب الآخرين أحيانا أخرى ولكن لايمكن أن يتعدى دورهم تلك الحدود الى التدخل فى محتوى تلك المناهج فهذا أمر من أمور السيادة الوطنية والتميز الثقافى الذى لايمكن التفريط فيهما ·

ثامنا : ان لمصر دورها العربى والاسلامى ، وهويتها العربية والاسلامية وفى ظل المتغيرات الدولية والقومية هناك محاولات لعزلها عن دورها العربى، وتفريغها من هويتها الاسلامية · ولن تكون مصر بدون العروبة والاسلام شيئا مذكورا · من هنا تأتى أهمية الثقافة الاسلامية الصحيحة للمواطن المصرى انها العمود الفقرى لشخصيته وأداة التوحيد الثقافى والتماسك الأيدولوجى القادر على مواجهة تحديات تلك المرحلة التى نمر بها (٧) · من هنا تأتى أهمية التفرقة بين الالتزام الاسلامى القوى وبين التعصب والارهاب ·فالالتزام الاسلامى القوى يعنى امتثال الفرد الواعى وتطبيقه لتعاليم الاسلام كما وردت فى القرآن والسنة وكما طبقها السلف الصالح أما التعصب فيعنى نوعا من العقيدة أو الحكم لصالح أو لضد شيء أو شخص أو جماعة أو مبدأ أوفلسفة أو دين أو جنس معين بدون أدلة قوية ، والارهاب هو استخدام القوة لغرض مايتعصب له الفرد (٨) · وقطعا نحن نحتاج الالتزام الاسلامى القوى فى تلك المرحلة التاريخية ولذلك تأتى أهمية وضرورة اعداد معلم خاص للتربية الاسلامية ، وأهمية ايجاد مادة الثقافة الاسلامية لتدرس فى جميع المعاهد والكليات · ان الثقافة الاسلامية الصحيحة فى جميع مراحل التعليم بما فيها التعليم العالى هى سبيلنا القومى لايجاد المواطن المسلم الملتزم القادر على فهم دينه وتطبيقه فى سماحة ويسر · وايجاد معلم التربية الاسلامية القادر على اقناع الطلاب والتأثير فيهم ·

تاسعا : ينبغى ألا نسمح بأى نوع من أنواع الردة التعليمية عن نشر التعليم وتيسيره لأكبر عدد من أبناء مصر بما فى ذلك التعليم العالى ، كما

ينبغى ألا تضللنا الشكوى من كثرة عدد خريجى المعاهد والجامعات فما زال التعليم العالى عندنا لايستوعب الا ١٩ر٨٪ ممن هم فى سن التعليم العالى بينما يستوعب ٢٦ر٦٪ فى الأردن ، ٣٤ر١٪ فى اسرائيل ، ٥٩ر٦٪ فى أمريكا (٩) · وعلى الدولة أن توفر الميزانيات اللازمة لنشر التعليم بجميع مراحله وتيسيره لأكبر عدد من أبناء الوطن ·

ولعلنا نستفيد من تجربة الأوقاف الاسلامية التاريخية فى تمويل التعليم المصرى · ان الشعب المصرى قادر على العطاء اذا آمن بالهدف · ولقد أعطى الكثير من أفراده مبالغ هائلة لكليات التربية النوعية طواعية أحيانا وقسرا أحيانا أخرى ، كذلك تبرع الكثيرون ببناء مدارس حكومية ، ومراكز طبية وتعليمية هنا وهناك · وان حملة قومية صادقة لايجاد أوقاف تعليمية يمكن أن تكون احدى البدائل لجلب بعض المال اللازم لتطوير التعليم المصرى واصلاحه ·

هذه أفكار عامة حول الاصلاح التعليمى المنشود فى مصر · نقولها فى تلك الظروف بالذات التى نتعرض فيها لمخاطر تهددنا من الداخل والخارج · ولن تستطيع مصرنا الغالية مواجهة تلك المخاطر الا بتعليم قوى واسلامى وعصرى ·

وأخيرا فان مسئولية اصلاح التعليم وتطويره لايمكن أن تتم بنجاح الا اذا توفر لها ثلاثة عناصر : ارادة سياسية قوية مصرة على هذا الاصلاح مدركة لأبعاده ومتطلباته · وطليعة تربوية تتحمل أعباء الاصلاح وتوجه مسيرته ، وارادة شعبية ضاغطة تصر على هذا الاصلاح ولاترضى بالدونية الثقافية والتربوية فى عالم لايرحم الضعفاء والمتخلفين · ومن ثم فان أى فساد فى التعليم المصرى لابد أن يرد الى غياب احدى تلك القوى الثلاث أو ضعف فاعليتها · وعلينا أن نحشد كل قوانا لتعبئة تلك القوى الثلاث جميعا من أجل اصلاح التعليم اذا أردنا النجاح فى هذا السبيل والا فلن يكون حظنا من الاصلاح التربوى أفضل من المحاولات السابقة التى تمت فى غياب تلك القوى بعضها أو كلها بدرجات متفاوتة · مما يحتم على عمداء وأساتذة كليات التربية فى مصر أن يقوموا بدور الطليعة التربوية التى تتحمل أعباء الاصلاح وتوجه مسيرته ·

المـــراجع

١ ـ الجمعية المصرية للتنمية والطفولة ، وزارة التربية والتعليم : **مؤتمـــر تطوير مناهج التعليم الابتدائـــى القاهـــرة ٨١ ـ ٢٠ فبرايـــر ١٩٩٣** ، مطابع روز اليوسف الجديدة ، ١٩٩٣ ٠

٢ ـ لتداخل مجالات البحث فى العلوم الاجتماعية والانسانية كاتجاه عالمى جديد انظر اليونسكو (جماعة من الأساتذة المختصين فى العـــــلوم الاجتماعية : **الاتجاهات الرئيسية للبحث فى العـــلوم الاجتمـــاعية والانسانية** ، مترجمة الى العربية ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٧٦ (ثلاثة أجزاء) ٠

٣ ـ انظر على سبيل المثال لا الحصر : أكاديمية البحث العلمىوالتكنولوجيا : **دراسة مسحية تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منـــذ الثلاثينات ـ التقرير النهائى** ، حيث نجد مئات الرسائل الجامعية فى التربية وعلم النفس ، وأيضا **موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ ـ ١٩٨٩**، ج٦ ، ج٧ حيث نجد فكرا تربويا تناول معظم مشكلات التعليم المصرى وكيفية الحل ٠

٤ ـ هناك رسائل جامعية عن التربية الاسلامية فى عصور الازدهار الاسلامى، ويمكن أن نجد مادة خصبة فى تلك الرسائل مما يمكن الاستفادة به فى تطوير تعليمنا المصرى ٠ انظر عبد الرحمن النقيب : دليل الباحث فى التربية الاسلامية بالجامعات المصرية والسعودية ٠ تحت الطبع ٠

٥ ـ وزارة التربية والتعليم : **مبارك والتعليم نظرة الى المستقبل** ، مطابـــع روز اليوسف الجديدة يوليو ١٩٩٢ ٠

٦ ـ نفس المرجـــع ٠

٧ ـ لمزيد من التفاصيل راجع عبد الرحمن النقيب «ثقافة الطفل العربـــى الاسلامية والعلمية» فى **التربية الاسلامية رسالة وسيرة** ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٠ ٠ ولاهمية اعداد معلم تربية دينية متخصص مراجـــع مصطفى رجب سالم : برنامج مقترح لاعداد معلمى التربية الدينية فى كليات التربية رسالة دكتوراه كلية البنات جامعة عين شمس ، قســـم

المناهج وطرق التدريس ١٩٨٧ · ولاهمية ايجاد برنامج فى الثقافة الاسلامية بالجامعات المصرية انظر زين محمد شحاته محمد : بناء برنامج فى الثقافة الاسلامية وقياس مدى فاعليته فى كسب المعلومات وتعديل الاتجاهات الدينية رسالة دكتوراه كلية التربية جامعة المنيا ، قسم المناهج وطرق التدريس ١٩٨٧ · ولأهمية الثقافة العربية والاسلامية فى صراعنا العربى الاسرائيلى ، ومدى اهتمام اسرائيل بالثقافة اليهودية (اللغة والدين والتاريخ) انظر : عارف توفيق عطارى : **التربية اليهودية فى فلسطين المحتلة والدياسبورا** ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٧، عبدالله عبد الدائم وآخرون : **الأبعاد التربوية للصراع العربى الاسرائيلى** ، وقائع المؤتمر العلمى الذى نظمته كلية التربية بجامعة الكويت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ ·

٨ ـ فى الفرق بين الالتزام الاسلامى القوى والتعصب انظر عبد الرحمن النقيب : الالتزام الاسلامى لدى الشباب الجامعى ، بحوث فى التربية الاسلامية الكتاب الثانى دار الفكر العربى ١٩٨٤ ·

ـ مقياس مدى الالتزام الدينى لدى الشباب المسلم ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣ ·

ـ بعض القوى والعوامل المؤثرة على التدين الاسلامى لدى الشباب الجامعى دراسة ميدانية ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣ ·

٩ ـ وزارة التربية والتعليم : **مبارك والتعليم نظرة الى المستقبل** ، مرجع سابق ·